التربية القرآنية للإنسان والدفع الحضاري:
"عقيدة تكريم الإنسان وتضميناتها التربوية عند عبد المجيد النجار أنموذجاً"

هجيرة شبلي*

الملخص

تتناول هذه الدراسة قضية التربية القرآنية للإنسان المسلم؛ بغية إعداده لممارسة مهمة الاستخلاف والتعمير في الأرض. وقد استخدم المفكر الإسلامي المعاصر عبدالمجيد النجار مصطلح عقيدة التكريم، التي تهدف إلى تعميق الإيمان والوعي لدى الإنسان المسلم؛ حول تفضيل الله سبحانه له على سائر المخلوقات، وتمكينه من تسخير الكون له من أجل أداء المهمة الوجودية التي كُلِّف بها. من هنا كان الهدف من التربية القرآنية أن تحدد غاية الوجود البشري، وتعزز عقيدة التكريم بتضميناتها التربوية وتمكن الإنسان من تجاوُز العوائق والتفاعل الإيجابي مع الكون.

الكلمات المفتاحية: التربية القرآنية، الكرامة الإنسانية، تسخير الطبيعة، استخلاف الإنسان.

Qur'an-based Human Education and Civilizational Impetus: The Doctrine of Human Dignity and Its Educational Implications in Abdul Majid al-Najjar's Writings

Abstract

This study covers the issue of Qur'anic education of Muslims, in order to prepare them to perform the duty of vicegerency and building civilization on Earth. Abdul Majid al-Najjar, a contemporary Muslim thinker, calls this issue the doctrine of human dignity that deepens the Muslim's faith and awareness. This doctrine designates a human as a dignified being, over all creatures, in order to utilize nature and to execute his/her ontological duty. Methodology of Qur'anic education defines the purpose of human existence and promotes the doctrine of human dignity. This methodology has educational implications that enable humans to overcome obstacles and prepare them to interact positively with nature.

Keywords: Qur'anic education, Human dignity, Human Vicegerency, Stewardship of Nature.

---

* ماجستير في فلسفة الحضارة من جامعة الحاج لخضر بولاية باتنة في الجزائر، أستاذ مساعد دائم في قسم الفلسفة بجامعة محمد لمين دباغين سطيف ٢ في الجزائر، وهي تعمل على إعداد رسالة دكتوراه في العلوم بجامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية "قسنطينة"، عنوانها: "فلسفة التحضُّر عند عبد المجيد النجار". البريد الالكتروني: hadjira_philo@yahoo.fr

تم تسلم البحث بتاريخ ٢٠١٦/٤/٢٨م، وقُبل للنشر بتاريخ ٢٠١٦/١١/٢٨م.

مقدمة:

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ قضية التربية تُمثِّل الركيزة الأساسية لتهذيب السلوك وتقويمه وتوجيهه نحو الفطرة الإنسانية السليمة؛ لكيلا ينحرف السلوك الإنساني عن مساره الصحيح في تحقيق الغاية التي من أجلها خُلِق الإنسان، والتي تتمثَّل في خلافة الله على أرضه؛ بتعميرها، وتجنُّب الإفساد فيها وَفقاً للأوامر والنواهي الإلهية. وهذا المعنى يُعَدُّ من مقتضيات مفهوم التحضُّر في الإسلام، وبهذا تصبح التربية مسألة جزئية تُعالَج ضمن مسألة كلية هي الحضارة التي يُمثِّل فيها الإنسان العامل الرئيس في عملية الفعل الحضاري؛ وذلك أنَّه ينفرد بمنزلة قيمية مغايرة لجميع الموجودات الكونية، وهذا ما يُؤكِّده القرآن الكريم بتفضيله الإنسان على بقية المخلوقات، وتسخير الكون لما فيه نفعه؛ ليقوم بمهمة الخلافة في الأرض، وهو ما أسماه المفكر التونسي المعاصر عبد المجيد النجار عقيدة التكريم.

فقد أثار النجار هذه القضية مُبرِزاً تمظهرات العقيدة، وما تنطوي عليه من أبعاد تربوية مهمة، تبرز انعكاساتها في موقف مَن يتبنَّاها؛ سواء في موقفه الداخلي إزاء الله تعالى وإزاء نفسه، أو في موقفه الخارجي إزاء المجتمع الإنساني وإزاء البيئة الكونية. وهذا ما ستعرض له هذه الورقة البحثية شرحاً وتفصيلاً.

ومن هنا، فإنَّ الدراسة تهدف إلى تقديم قراءة جديدة في الفضاء التربوي للأُمة المسلمة، تنبع من التصوُّر القرآني، ويكون قوامها استحضار أفق لغة عقيدة التكريم ودلالاتها التربوية الضابطة لتصوُّر الإنسان المسلم عن حقيقة الوجود وغاية الحياة، وذلك بالوقوف على حقيقة مبدأ التكريم بوصفه قيمة أخلاقية وروحية تُسهِم في تعزيز وعي الإنسان بقيمته في العقيدة الإسلامية وتنمية هذا الوعي؛ ليتمكَّن من تجاوُز عقدة الشعور بالدونية واللافاعلية، فينطلق نحو الاستثمار الإيجابي للبيئة الكونية في علاقته أفقياً وعمودياً، عن طريق الترشيد وتسديد وعي الفرد المسلم والجماعة بعظمة الرسالة الملقاة على عاتقهم، وتبليغها عن طريق التربية الإيمانية بوصفها مبدأً، والتكريم بوصفه منهجاً، والبناء والتعمير الحضاري بوصفه غايةً ووظيفةً للإنسان. وتسعى الدراسة أيضاً إلى إثارة

النقاش بخصوص عقيدة التكريم من أجل التوصُّل إلى الآليات والطرائق الكفيلة بتفعيلها وتحويلها إلى ممارسة واقعية.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنَّها تُقدِّم معالجة نوعية لقضية التكامل التربوي، الـمُتمثِّلة في تحقيق التكامل بين الإعداد الإيماني والنفسي للإنسان، والممارسة العملية (السلوك)، على فرض أنَّ عقيدة التكريم تتأسَّس على رؤية كلية شاملة؛ إذ إنَّها تُمتِّن الصِّلة بين ما هو عقدي (عالَم الغيب الذي يُمثِّل المنهاج الهادي إلى الحق)، وما هو ثقافي وحضاري (عالَم الشهادة) في التصوُّر الإسلامي. وتُسهِم الدراسة أيضاً في الكشف عن الدور التنظيمي الذي تؤديه عقيدة التكريم في البناء وتشكيل التصوُّر الذي ينبغي أنْ يحمله الإنسان المسلم اليوم عن نفسه وعن الكون من جهة، وعن علاقته بالكون من جهة أُخرى، وكيف يمكنه تسديد تصرفاته مع الكون بناءً على هذا التّصور، وهذا لا يتحقَّق إلَّا بالوقوف على آفاق عقيدة التكريم، وإبراز مدى فاعلية هذه العقيدة وإسهامها في إعداد الفرد نفسياً للدفع به إلى الفعل الحضاري المطلوب.

وسعياً لتحقيق الأهداف المنشودة من الدراسة؛ فقد ركَّزنا على بلورة الإشكالية الآتية واستكناه أبعادها: إذا كان مبدأ التكريم الذي خُصَّ به المخلوق الإنساني دالاً على المنزلة القيمية العظيمة للإنسان في العقيدة الإسلامية، فما التضمينات التربوية لهذا المبدأ التي تُمثِّل إحدى الحلقات الضرورية للبناء الحضاري في المشروع الفكري لعبد المجيد النجار؟

وتنطوي هذه الإشكالية أيضاً على جملة من الأسئلة الفرعية نصوغها على النحو الآتي: ما المقصود بعقيدة التكريم عند عبد المجيد النجار؟ ما تمظهراتها؟ فيمَ تتجلَّى تضميناتها التربوية على السلوك؟ ما طبيعة التصوُّر الذي يحكم عقيدة التكريم عند النجار؟

وفي سياق الإجابة عن المنظومة التساؤلية الآنف ذكرها، سنقف مَلِيّاً عند المحاور الآتية:

- التربية القرآنية الكونية عند النجار: المفهوم، والمنطلقات.

- عقيدة التكريم عند النجار: دلالة المعنى، وتمظهرات العقيدة.

- التضمينات التربوية لعقيدة التكريم ومنهج الإعداد النفسي في القرآن عند النجار.

ثم نختم الموضوع بخاتمة تجيب عن جملة التساؤلات السابقة، مع حوصلة لنتائج البحث.

أولاً: التربية القرآنية الكونية عند النجار: المفهوم والمنطلقات

قبل أنْ نتعرَّض لمفهوم عقيدة التكريم وتمظهراتها وآثارها التربوية، يجدر بنا أنْ نشير إلى نقطة منهجية مهمة جداً لإدراك البُعْد الحقيقي للموضوع؛ فإنَّ عقيدة التكريم الإلهي للإنسان تُمثِّل البُعْد التربوي في سياق المشروع الفكري الذي صاغه النجار للنهوض الحضاري بالأُمة الإسلامية؛ إذ عزا أسباب الغياب الحضاري للأُمة الإسلامية إلى جملة من العوامل والأسباب، منها العوائق النفسية. وهذا المعنى يُؤكِّده النجار في قوله: "من عوامل الغيبة الحضارية للمسلمين اليوم الشعور بالدونية إزاء الآخرين من الشعوب البيضاء نتيجة الانهزامية الحضارية التي يعيشونها في الواقع، ويمكن أنْ يزال من النفوس هذا العامل بشرح حقيقة الحضارة الهازمة، وبيان عيوبها الآيلة بها إلى الفناء، وحينئذٍ تتحرَّر النفوس من هذا العائق، ولكنَّها لا تنطلق حتى تُشرب حقيقة أنَّ المسلم هو الذي يملك مقوِّمات الحضارة الحقيقية، وأنَّه مدعوٌّ إلى القيام بمهمة إنقاذية للبشرية اليوم، وأنَّ ذلك جزء من واجبه الديني الذي يُحتِّم عليه القيام بدور الشهادة على الناس. فإذا ما أُشربت النفوس هذه الحقيقة انطلقت في العمل الايجابي لإنجاز التحضُّر، وكان ذلك عاملاً من عوامل الشهود الحضاري."[1]

ويوجد عائق نفسي آخر ناتج من اتصال الإنسان بالكون، وقد أشار إليه النجار في قوله: "تمخَّض اتصال الإنسان بالكون عن مشكلة نفسية نشأت منذ نشأ الإنسان، تلك هي الشعور بعظمة الكون وجبروته إزاء ضآلة الإنسان وضعفه، وقد كان ذلك

[1] النجار، عبد المجيد عمر. **عوامل الشهود الحضاري "الشهود الحضاري للأُمة الإسلامية"**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ٢٠٠٦م، ج٢، ص١٦.

الشعور أزماناً طويلةً مُحدِّداً أساسياً لتعامل الإنسان مع الكون، حيث أدى أحياناً إلى موقع انهزامي تردَّد فيه بين الخوف من صولة الكون وبطشه، وبين الرجاء في مِنَّته وعطائه، فاتخذ لذلك آلهة من موجوداته العظمى يطلب عندها الأمن كما يطلب عندها الخير، وأدى به أحياناً أُخرى إلى موقف عدائي انتهى به إلى التحدي والصراع لقهر الموجودات الكونية وتسخيرها عنوة في سياق الثأر للانهزام السابق."[٢]

"وقد عمد القرآن الكريم إلى معالجة هذه المشكلة النفسية إزاء الكون، واعتبر أنَّ السلطنة الصحيحة عليه لا تتحقق إلَّا بتسوية الحاجز النفسي، وتوفير مُناخ يشعر فيه الإنسان بضرب من التواصل بينه وبين الكون، ينفي كل معنى للانهزام والعداء."[٣]

وتأسيساً على ذلك، قدَّم لنا النجار عقيدة التكريم بوصفها علاجاً ناجعاً يتعهَّد النفوس بالتربية السليمة قصْد إعدادها لمباشرة مهمة الإعمار في الأرض، باتِّباع منهج التربية القرآنية. وهذا يدعونا أولاً إلى الوقوف عند رؤية النجار لمفهوم التربية القرآنية بوصفها الخيط الناظم الذي يحكم تصوُّر الإنسان في علاقته بالبيئة، ثم الانتقال إلى بيان عقيدة التكريم وإسهامها في هذا الإعداد النفسي.

وفي هذا السياق يشير النجار إلى أنَّ البيئة الكونية تحتل "حيِّزاً مهماً في التوجيهات القرآنية التي تستهدف إعداد الإنسان لإنجاز مهمة الخلافة التي هي غاية وجوده، فقد اعتبر القرآنُ الكريم عنصرَ الكون عنصراً أساسياً من عناصر البيئة الوجودية الموسَّعة التي تحتضن الوجود الإنساني، إلى جانب العنصرين الآخرين المهمين: العنصر الغيبي، والعنصر الاجتماعي. وكما جاء الخطاب القرآني هادفاً إلى تربية الإنسان تربية تؤدي به إلى حسن التعامل مع الوجود الغيبي، ومع البيئة الاجتماعية، فإنَّه جاء أيضاً ليحسن التعامل مع البيئة الكونية، تحقيقاً للعناية الإلهية الشاملة في إرشاد الإنسان إلى ما يضمن تحقيق الغاية من وجوده."[٤]

---

[٢] النجار، عبد المجيد عمر. **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٢م، ص١٧.

[٣] المرجع السابق، ص١٧.

[٤] المرجع السابق، ص٩.

وهذا يعني وجود صلة وثيقة بين الإنسان والكون؛ لأنَّ البيئة الكونية تُمثِّل المسرح الذي يمارس فيه الإنسان عملية التحضُّر، ولأنَّ إرادة الإنسان تُمثِّل العنصر الفاعل في الإقبال على مُقدَّرات الكون بالاستثمار. وهذا يدفعنا إلى التساؤل: ما مفهوم التربية القرآنية؟ فيمَ تتمثَّل أهدافها عند النجار؟

١. في مفهوم التربية القرآنية ومقاصدها عند النجار:

يعتقد النجار أنَّ "القرآن الكريم يشتمل على تربية كونية للإنسان، على معنى أنَّه خاطبه بجملة من المطالب والإرشادات والتنبيهات التي من شأنها أنْ تُعِدَّه نفسياً وعقلياً ومادياً ليُنشِئ التوافق مع البيئة الكونية، فيحصل التفاعل الذي يُثمِر التحقُّق المطرد في مصالح الإنسان التي هي غاية الدين."[٥]

ويأخذ مفهوم التربية الكونية في القرآن الكريم بحسب النجار "مفهوماً مغايراً لما ألفناه في المذاهب التربوية الوضعية؛ إذ إنَّ هذه المذاهب تحصر الجدلية في العملية التربوية الوضعية بين عنصري الإنسان والبيئة الكونية، وتجعل من تحقيق السيطرة الإنسانية على الطبيعة عبر الصراع معها أفقاً أعلى للتربية الكونية، وهدفاً نهائياً لها، في حين اتجهت التوجيهات القرآنية إلى رسم إطار أوسع للتربية الكونية، وتحديد هدف أبعد وأعمق، فقد جعلت الجدلية فيها دائرة بين عناصر ثلاثة يتوسط فيها الإنسان وجوداً إلهياً غيبياً يقبس منه التعاليم على سبيل الاستخلاف، ومادة كونية يفعل فيها بإرادة حرة فيجدها مستجيبة مُسخَّرة. وفي هذا الإطار تتجه الحركة التربوية إلى أفق بعيد هو تحقيق الخضوع والعبادة لله تعالى عبر التفاعل مع الكون والسيطرة عليه."[٦]

وقد اتخذ الخطاب التربوي الكوني في القرآن الكريم صوراً شتى تختلف باختلاف المقاصد الجزئية التي ينتهي إليها المقصد العام؛ إذ يتجه المقصد العام في الخطاب التربوي عند النجار إلى ترقية الإنسان إلى مرتبة رفعته وكماله في تحقيق وجوده الروحي أو المادي، يقول في ذلك: "إنَّنا نكاد نلمح في كل تصوير قرآني للكون وآياته غرضاً تربوياً للإنسان

---

٥ المرجع السابق، ص١٠.

٦ المرجع السابق، ص١٥-١٦.

يهدف إلى أنْ يُقدِّمه خطوة في تحقيق وجوده الروحي والمادي، وهو ما يتجلَّى في ذلك الربط المستديم بين الصورة الكونية على اختلاف موضوعها، وبين الإنسان في جانب من جوانب حياته، بحيث يمكن القول: إنَّ العناصر الكونية لم يرد ذكرها في القرآن إلَّا في سياقٍ يكون فيه الإنسان محوراً لذلك الورود على سبيل الخطاب التربوي بصفة مباشرة أو غير مباشرة."[٧]

أمَّا المقاصد الجزئية فقد وردت في صور شتى تختلف باختلاف المقصد العام الذي تنتهي إليه، وتدور تلك الصور في عمومها على المداخل التي يكون منها للصورة الكونية دور في ترقية الإنسان إلى مرتبة رفعته وكماله. فأحياناً يهدف الخطاب التربوي إلى ترقية الإنسان باستخدام العنصر الكوني وسيلةً توصِله إلى الحقائق الغيبية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ (البقرة: ١٦٤).

وقد يكون هادفاً إلى ترقيته باستخدام الصورة الكونية وسيلةً تُحقِّق الخير الاجتماعي كما في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ (البقرة: ٢٦٥).

وفي أحايين أُخرى يكون هادفاً إلى ترقية الإرادة الإنسانية بدفعها موقع الفعل المُؤثِّر الذي يسيطر على الطبيعة ويُسخِّرها لمصلحة الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ (الملك: ١٥).[٨]

---

[٧] المرجع السابق، ص٩.
[٨] المرجع السابق، ص١٠-١١.

٢. المنطلقات العقدية للتربية الكونية في القرآن:

يذهب النجار إلى أنَّ "التربية الكونية التي وردت في القرآن الكريم تندرج ضمن الإطار العقدي الذي جاء مُحدِّداً للحقيقة الوجودية العامة، مُبيِّناً ضمنها حقيقة الإنسان وقيمته ووظيفته وعلاقته بالكون وبما وراء الكون، ولذلك فقد كانت هذه التربية تُمثِّل بُعْداً من أبعاد العقيدة الإسلامية سواء في المبدأ الذي انطلقت منه وظلَّ يدفعها ويُوجِّه خطاها، أو في الغاية التي هدفت إليها وظلَّت ترسم مناهجها وتُحدِّد مسارها، فهي تربية عقدية المبدأ، عقدية الغاية."[٩]

أمَّا التربية عقدية المبدأ فتتجلَّى مظاهرها فيما يأتي:

أ. حقيقة الوجود:

"تُفسِّر العقيدة الإسلامية الوجود على أنَّه ثنائية ذات طرفين: الأول الله جلَّ جلاله، والثاني ما سواه من عناصر الكون جميعاً، وهو المُعبَّر عنه بِـ"العالَم" في اصطلاح الفكر الإسلامي. إنَّ هذه الثنائية أثبتتها الآية الأولى التي نزلت من القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾(العلق: ١)، حيث انحاز الرب الخالق إلى جهة، وانحازت كل المخلوقات الكونية إلى جهة أُخرى. وهذان الطرفان في ثنائية الوجود طرفان متباعدان في الحقيقة الذاتية حيث يتصف الله تعالى بالكمال المطلق، ولا يستطيع العقل البشري أنْ يعلم من كُنْهِ حقيقته شيئاً،... في حين يتصف العالَم بالنقص والدون إزاءه، وهو ذو طبيعة معقولة في إمكان العقل إدراكها وتحصيل حقيقتها."[١٠]

ب. وحدة الإنسان والكون:

"الإنسان والكون كلاهما عنصران من عناصر العالَم، فهما متساويان في المخلوقية لله تعالى، محكومان بنفس القانون في التوجُّه الإلهي إليهما بالسيطرة والتدبير، وبتحديد المصير، وهو ما يُصوِّره قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ

[٩] المرجع السابق، ص١١.

[١٠] النجار، عبد المجيد عمر. **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل "بحث في جدلية النص والعقل والواقع"**، هرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٣، ٢٠٠٥م، ص٤٠-٤١.

كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ (القمر: ٤٩-٥٠). إنَّ هذه المساواة بين الإنسان والكون في خط التقابل مع الله تعالى خلقاً وتدبيراً ومصيراً، هي المنطلق للخطاب التربوي الكوني للإنسان، فقد تعلَّقت الإرادة الإلهية بأنْ تكون المخلوقات مُتمثِّلة في الإنسان والكون على هيئة من الانسجام والتوافق، تتحقَّق بهما أسمى صور الوجود المخلوق، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴿٣﴾﴾ (الملك: ٣)."[١١]

ت. رِفعة الإنسان:

إنَّ مظاهر الوحدة بين الإنسان والكون لا تنطوي على دلالة معيارية تؤدي إلى التساوي في القيم بينهما، بل هي مجرَّد دالَّة على الاشتراك في جزء من الحقيقة، يبقى معها مجال كبير لتمايز الإنسان عن الكون تمايز رِفعة واستعلاء. فقد خصَّ القرآن الكريم الإنسان عن سائر الموجودات بالرِّفعة والتميز، ووضعه في المكانة العليا من سُلَّم التفاضل القيمي للمخلوقات، وهو ما يتجلَّى بوضوح في قوله تعالى: ﴿۞وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾﴾ (الإسراء: ٧٠).

وهذا التفضيل للإنسان والإعلاء لشأنه من بين المخلوقات جميعاً جعله يختص بقطبية وجودية تظهر في قصة خَلق آدم وما وقع فيها من أحداث؛ فقد بيَّنت هذه القصة أنَّ قدوم الكائن الجديد أحدث تغييراً جذرياً في النسب بين الموجودات، بحيث أصبح القطب الوجودي الذي ترنو إليه المخلوقات جميعاً، وتتحدَّد قيمتها بقدر ما تقترب منه أو تبعد عنه. وما سجود الملائكة لآدم وقد كانوا أشرف المخلوقات ونيلهم بذلك الرضا الإلهي، وامتناع إبليس من السجود ونيله بذلك اللعنة والخسران، إلَّا رمز لتحوُّل قطبية المخلوقات لتكون في مصلحة هذا القادم الجديد.

وقد خُصَّ الإنسان أيضاً بقطبية في تكوينه الذاتي؛ إذ استجمع في تكوينه العناصر التي تتأسَّس منها جميع المخلوقات الكونية على نحوٍ لم يستجمعه أيُّ كائن آخر. وهذه

[١١] النجار، **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**، مرجع سابق، ص١٢.

العناصر مَردُّها عنصران رئيسان: عنصر ترابي مادي، وعنصر روحي عقلي، وقد لخَّص ذلك قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (الحجر: ٢٨-٢٩). وتعبيراً عن هذه القطبية التكوينية للإنسان، فقد وُصِف بأنَّه العالَم الصغير، وأنَّه صفوة العالَم ولبابه وخلاصته.

إلى جانب ذلك خُصَّ الإنسان بقطبية على المستوى المعرفي، مُتمثِّلةً في قدرته على الاستيعاب المعرفي للكائنات؛ إذ هو مُهيَّأ بوسائل إدراكية تسمح له بنقل العالَم الخارجي في مواصفاته الكمية إلى عالَمه الداخلي على سبيل التصوُّر، فيصبح هذا الكائن الصغير حاملاً في ذاته ذلك العالَم الكبير، فتحصل له بذلك القيومية والإشراف على جميع الكائنات، وهذا ما يُؤكِّده قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ (البقرة: ٣١-٣٢).[١٢]

ث. تسخير الكون للإنسان:

"إنَّ حقيقة رِفعة الإنسان وعلو شأنه أدت إلى حقيقة عقائدية أُخرى، هي تسخير الكون للإنسان؛ فالله تعالى هيَّأ العالَم ليكون صالحاً لاستقبال الإنسان، وسخَّر موجوداته لخدمته تسخيراً، فحدَّد الأبعاد والقوانين والأحجام بما يتلاءم والمهمة الأساسية لخلافة الإنسان في الأرض، وما يستجيب لقدرته على التعامل العمراني مع الطبيعة تعاملاً إيجابياً فعالاً، وهو ما يجمعه قوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ (الجاثية: ١٢)."[١٣]

وأمَّا بخصوص التربية عقدية الغاية فقد "حدَّدت العقيدة الإسلامية المهمة التي من أجلها وُجِد الإنسان، والتي كُلِّف بتحقيقها في مسيرة حياته منذ آدم عليه السلام إلى يوم تقوم الساعة. وتلك المهمة هي الخلافة في الأرض التي اقترن ذكرها في القرآن الكريم بخَلق آدم

[١٢] النجار، **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل "بحث في جدلية النص والعقل والواقع"**، مرجع سابق، ص٥٦-٥٧.

[١٣] المرجع السابق، ص٥٨.

عليه السلام حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠). ومهمة الخلافة في الأرض إنَّما هي الحاكمية على الأرض وما فيها؛ حاكمية يتصرَّف فيها الإنسان تصرُّفاً يُفضي إلى عمارتها وتوجيه مسيرتها نحو لله تعالى تحقيقاً للعبودية التي هي غاية الخَلق. ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ (الذاريات: ٥٦)."[١٤]

ولكي يقوى الإنسان على تحقيق هذه المهمة؛ فقد هُيِّئ في طبيعته تهيئة مخصوصة كان بها قادراً على الاتصال بخالقه ليأخذ منه أوامر الاستخلاف، وذلك بمقتضى ما رُكِّب فيه من عنصر الروح، وقادراً من جهة أخرى على تنفيذ مقتضيات الاستخلاف بمباشرة المادة الكونية، وذلك بمقتضى ما رُكِّب فيه من عنصر المادة. وبهذه التركيبة التي اقتضاها المراد الإلهي في وظيفة الاستخلاف اكتسب الإنسان الرِّفعة وعظمة الشأن في منظومة الموجودات الكونية، وكانت تلك حقيقة عقدية أساسية لقوله تعالى: ﴿۞وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠﴾ (الإسراء: ٧٠).

إنَّ هذه الحقيقة العقدية المقَرِّرة رِفعةَ الإنسان بين الكائنات، والمُحدِّدة الخلافةَ في الأرض هدفاً لوجوده، هي نفسها التي حدَّدت الغاية التي تسعى إلى تحقيقها التربية الكونية، وما يراد بهذه الغاية إلَّا تمكين الإنسان من تحقيق الخلافة كاملةً على الأرض؛ تعميراً، وإنشاءً، وتصرُّفاً في الكون بما يُحقِّق الكرامة والاستعلاء للإنسان عالمياً، وما يُحقّق له وجميع الموجودات العبودية والخضوع للمولى تعالى.[١٥]

ولـمَّا كانت رِفعة الإنسان وكرامته حقيقة عقدية، فقد اصطلح النجار على تسميتها عقيدة التكريم. وهكذا يتبيَّن لنا كيف كان الإطار العقدي هو الخيط الناظم لعقيدة التكريم، ولكنَّ الأسئلة التي تتبادر إلى الذهن مرَّةً أُخرى هي: ما المقصود بعقيدة التكريم على وجه الدقة؟ فيمَ تتجلَّى مظاهرها؟ ما تضميناتها التربوية؟

[١٤] النجار، **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**، مرجع سابق، ص١٤.
[١٥] المرجع السابق، ص١٤-١٥.

ثانياً: عقيدة التكريم عند النجار: دلالة المعنى، وتمظهرات العقيدة

١. معنى عقيدة التكريم:

يرى النجار أنَّ التكريم: "هو الإعلاء والإعزاز، وهو شامل للإنسان بمقتضى مطلق الإنسانية فيه، غير مُتعلِّق بعوارضها مهما كان نوعها."[١٦] وقد استجمع هذه المعاني قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠﴾ (الإسراء: ٧٠).

"ومن مظاهر تكريمه تخصيصُه بأنْ يُسخَّر البَّر والبحر لما فيه نفعه وخيره، وأنْ تُسخَّر مطايب ما في الكون لتكون رزقاً له، فصار بذلك في مكانة أعلى من مكانة الكون، وصار أفضل من المخلوقات الكونية التي تشاركه الوجود في عالَم الشهادة."[١٧]

ويُؤكِّد النجار هذا المعنى بقوله: "إنَّ الإنسان في التصوُّر الإسلامي يحظى بالرِّفعة وعلو الشأن، وذلك باعتباره إنساناً، وبقطع النظر عن عوارض ذاته من لون أو جنس أو دين، فهو باعتبار نوعه. ومهما يكن من أوصافه العارضة كائن قيِّم لا يدانيه في قيمته أيُّ مخلوق آخر. وقد جاء القرآن الكريم يُعبِّر عن جماع هذه الرِّفعة بالتكريم الذي خصَّ به الله تعالى النوع الإنساني مُتمثِّلاً في أبي البشر آدم عليه السلام وفي ذريته من بعده. وقد بلغ التأكيد القرآني لمعنى تكريم الإنسان بأساليب وصيغ مختلفة ما صار به معنى يرتقي إلى أنْ يكون عقيدة ثابتة يمكن أنْ تُسمَّى بعقيدة تكريم الإنسان."[١٨]

وفي إطار ضبط النجار السياقَ الذي يُسوِّغ مشروعية اعتماد معنى عقيدة التكريم، فإنَّه يقول: "وقد جاء في القرآن والحديث من الإعلاء لشأن الإنسان، والبيان لتكريمه ما بلغ في تأكيده والاحتفال به مبلغاً ارتقى به إلى أنْ يصير أساساً من أسس الاعتقاد فيما يمكن أنْ نُسمِّيه بعقيدة تكريم الإنسان، وهي عقيدة تنبني عليها كل الأوضاع والمعاملات

---

[١٦] النجار، عبد المجيد عمر. "عقيدة تكريم الإنسان وأثرها التربوي"، **مجلة المسلم المعاصر**، عدد٧٣-٧٤، ١٩٩٥م، ص١١.

[١٧] النجار، عبد المجيد عمر. **قيمة الإنسان** "الإنسان في العقيدة الإسلامية ٢"، المملكة المغربية: دار الزيتونة للنشر، ط١، ١٩٩٦م، ص٨.

[١٨] المرجع السابق، ص١١.

الإنسانية في الشرع الإسلامي، وكل تصوُّر أو تصرُّف فيه استهانة بالإنسان أو بخس لشأنه يكون مناقضاً لأصل عقدي في الدين."[١٩]

٢. تمظهرات عقيدة التكريم الإلهي للإنسان:

لقد طرح النجار سؤالاً صريحاً مفاده: ما مظاهر التكريم الإلهي التي كُرِّم بها الإنسان حتى أصبح الإيمان بأنَّه كائن مُكرَّم جزءاً من الاعتقاد؟ في سياق الإجابة عن هذا السؤال، يرى النجار أنَّه يوجد "مظهران أساسيان من المظاهر التي تُعلي من قيمة الإنسان في التصوُّر الإسلامي: تكريم الإنسان، وهو رمز للرِّفعة المبنية على اعتبار ذاتية الإنسان مطلقاً عن كل الاعتبارات العارضة لتلك الذاتية ملازمة لها أو خارجة عنها، في أصل خَلقه، وفي تصاريف أحواله، وهو رمز للرِّفعة المبنية على اعتبار العلاقة بين الإنسان والمحيط الذي يعيش فيه؛ إذ تعكس تلك العلاقة التسخيرية علو الشأن بالنسبة لما سُخِّر كل الكون من أجله."[٢٠]

أمَّا قيمة هذين المظهرين لرِفعة الإنسان فقال عنهما النجار: "ويُشكِّل هذان المظهران لرِفعة الإنسان الموقف العقدي الإسلامي في تقويمه، فيكون الإيمان بهما جزءاً من الإيمان بالعقيدة الإسلامية، والاستهتار بهما مظهراً من مظاهر الاستهتار بها. وللإيمان بهذه الرِّفعة في قيمة الإنسان بمظهريها أثر تربوي في النفس، ينعكس على الموقف الحضاري للمجتمع المؤمن بها في شتى مظاهره."[٢١]

وتتجلَّى تمظهرات عقيدة التكريم في المناحي الآتية:

أ. شَرَفِية الخَلق:

لقد أفاض القرآن الكريم والحديث الشريف في الحديث عن خَلق الإنسان الأول آدم عليه السلام في معرض الوصف والإخبار، وفي معرض المِنَّة والتفضُّل والاعتبار، وهو ما لم يحظَ

---

[١٩] النجار، **عقيدة تكريم الإنسان وأثرها التربوي**، مرجع سابق، ص١١٣.
[٢٠] النجار، **قيمة الإنسان**، مرجع سابق، ص٨.
[٢١] المرجع السابق، ص٩.

به أيُّ مخلوق آخر دلالةً على علو الشأن وجلالة القدر؛ فإنَّ الاحتفال بميلاد المولود، وإعادة ذكراه باستمرار علامة على رِفعة قيمته الذاتية.

ومع هذا الاحتفال القرآني بخَلق الإنسان من بين المخلوقات جميعاً، فإنَّ هذا الخَلق جاء مُتميِّزاً بخصوصية مهمة تَمثَّلت في العناية الإلهية المباشرة به، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥﴾ (ص: ٧٥). فالآية تشير إلى أنَّ الإنسان خُلِق بيدي الله علامةً على التشريف والتعظيم له؛ إذ إنَّ عظيم الشأن مُقدِّر الأمور والمسيطِر عليها لا يتولّى بيديه إلَّا الأمر الكبير القدر الرفيع القيمة. وهذا المعنى مُتحقِّق في الآية الكريمة.[٢٢]

وفي معنى شرفية الخَلق جاء قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢﴾ (ص: ٧١-٧٢).

وفي هذا السياق الذي يُظهِر فيه الله تعالى "عنايته بخَلق الإنسان وتقريبه منه، يندرج ما جاء منه إخبار إلهي بأنَّ الله سيخلق كائناً يكون خليفةً له في الأرض؛ إذ قال الله تعالى في مقام إعلام الملائكة بخلق آدم: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ (البقرة: ٣٠). فتخصيص الله للإنسان بأنْ يكون خليفته في الأرض، يُنفِّذ أوامره ونواهيه في مباشرته للكون يحمل من التشريف وإعلاء المقام شيئاً كثيراً؛ إذ الخليفة تتحدَّد منزلة شرفه وعلوه بمنزلة مستخلِفه، فما بالك بمَن كان مستخلفه الله جلَّ شأنه."[٢٣]

ب. حسن التقويم:

قال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾ (التين: ٤). والتقويم هو التعديل والتسوية، فيكون حاصل الآية أنَّ الإنسان خُلِق على درجة رفيعة هي أرفع الدرجات في بنيته المادية والمعنوية،[٢٤] فكان بذلك حائزاً على أرفع الدرجات من التكريم الإلهي بالنظر

[٢٢] المرجع السابق، ص١٣-١٤.

[٢٣] النجار، **عقيدة تكريم الإنسان وأثرها التربوي**، مرجع سابق، ص١١٦.

[٢٤] للاستزادة، انظر:

- النجار، **قيمة الإنسان**، مرجع سابق، ص١١٧-١١٨.

إلى التكوين الذي خُلِق عليه لأداء أعلى غاية بالنسبة إلى موجودات الكون كلها، وهي غاية الخلافة في الأرض لتطبيق أوامر الله فيها.[٢٥] هكذا جاءت صورة الإنسان في بُعْدها المادي والمعنوي في أحسن تقويم، مُفْضِية إلى تحقيق الغاية من وجوده، وهو ما صوَّره قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ (غافر: ٦٤)، ممَّا يفيد أنَّ الله كوَّن الإنسان تكويناً ذاتياً متناسباً مع ما خُلِق له نوعه من الإعداد لنظامه وحضارته.[٢٦]

ت. رِفعة التكليف:

"إنَّ الإنسان هو الكائن الذي اختير لأنْ يكون مُكلَّفاً، فقد انتخبه الله تعالى من بين الموجودات ليقوم بهمة الاستخلاف وَفق أوامر ينبغي أنْ يقوم بها، ونواهٍ ينبغي أنْ ينتهي عنها، ومكَّنه من إرادة حرة يكون على أساسها المحاسبة على الإيفاء بما أُمِر به ونُهِي عنه. وقد عبَّر القرآن الكريم عن هذا التكليف بتحميل الأمانة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ٧٢﴾ (الأحزاب: ٧٢)."[٢٧]

"ويبدو أنَّ المعنى الأسمى الذي تضمَّنه التعبير بالأمانة على التكليف هو بيان قيمة الإنسان ورِفعته من بين سائر الكائنات؛ لأنَّ الأمانة من شأنها أنْ لا تُعرَض من بين الناس إلَّا على مَن عُرِف بالتميُّز والعلو الخلقي كما كان الرسول ﷺ في مكة؛ فإنَّه كانت تودع عنده الأمانات لما كان في رِفعته في قومه حتى سُمِّي بالأمين."[٢٨]

"إنَّ التكليف مبني على حرية الاختيار بين طريق الخير الذي جاءت تُبيِّنه الأوامر الإلهية وطريق الشر الذي جاءت تُبيِّنه النواهي، وقد رُكِّب الإنسان على ما يُمكِّنه من اختيار أحد الطريقين والمضي فيه، وهو ما وصفه تعالى بقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ٨﴾ (الشمس: ٧-٨)، وفي قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ

---

[٢٥] المرجع السابق، ص١٨-١٩.

[٢٦] النجار، **عقيدة تكريم الإنسان وأثرها التربوي**، مرجع سابق، ص١١٩.

[٢٧] النجار، **قيمة الإنسان**، مرجع سابق، ص٢٥-٢٦.

[٢٨] المرجع السابق، ص٢٨.

ﭐلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠﴾ (البلد: ١٠). وبهذا المعنى يكون التكليف مقتضياً لضروب الجهاد النفسي، يبدو في مغالبة عوامل الشر والسقوط، ونصرة عوامل الخير التَّوَّاقة للفضيلة."[٢٩]

"وهذا الجهاد النفسي هو الفرصة الثمينة التي يتمكَّن فيها الإنسان من التسامي والتصاعد المستمر في سُلَّم الإنسانية نحو الاكتمال بما يُقمَع من نوازع الهبوط فيه، وبما يُكتسَب من معاني الإنسانية علماً وعملاً. والتسامي والتصاعد في سُلَّم الإنسانية نحو الاكتمال له من الثمرات ما يجعل نفس الإنسان تمتلئ بهجةً وإشراقاً إلى الخير المطلق، كما تمتلئ عزماً على الفعل؛ إذ تصبح الحياة للمجتمع المستشرف ذات قيمة دافعة للاستثمار، وذات أمل مُحفِّز إلى العمل الدؤوب."[٣٠]

"إنَّ هذا المعنى من الاكتمال والترقي الذي يتأتَّى بالتكليف يتبدَّى فيه التكريم الإلهي للإنسان بما يُعلي من شأنه، ويرفع من قيمته؛ ففيه إناطة لمصير الإنسان بيده عبر الجهاد، وليس مَن يملك مصير نفسه كمَن يُساق بالقهر إلى ذلك المصير، وفيه انفتاح إلى أفق المستقبل، واندفاع للتحرك نحو الكمال في ذلك المستقبل، وفيه ترتيب الثواب العظيم على الجهاد الموفق في الامتثال للأوامر والنواهي، وهو مظهر عظيم للتكريم الإلهي."[٣١]

ث. عزة التعبُّد:

"للعبادة في العقيدة الإسلامية مفهوم خاص يتصف بالشمول، فالله تعالى تعبَّد الإنسان في كل شؤونه: كبيرها وصغيرها معاً؛ إذ شملت الأوامر والنواهي كل تلك الشؤون، فلا عمل يُفرَض، ولا حركة ولا سكون يُدعى إلَّا والشريعة عليه حاكمة إفراداً وتركيباً، وبذلك أصبحت عبادة الله هي الهدف الأسمى للحياة الإنسانية كما صوَّره قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ (الذاريات: ٥٦). إنَّ العبادة بهذا المفهوم تصبح توجُّهاً مستمراً نحو الله بالخضوع والمذلة بحيث يكون الله تعالى هو الهدف المبتغى في كل فكر وفي كل سلوك. وقد يبدو أنَّ الخضوع والمذلة يتناقضان مع العزة

[٢٩] المرجع السابق، ص٣٠.
[٣٠] النجار، **عقيدة تكريم الإنسان وأثرها التربوي**، مرجع سابق، ص١٢٢.
[٣١] النجار، **قيمة الإنسان**، مرجع سابق، ص٣٢.

والرِّفعة، إلَّا أنَّ ذلك ليس إلَّا في ميزان التعامل البشري، وليس في ميزان الصلة بالله تعالى."[٣٢]

وتظهر عزة الإنسان وتكريمه في العبودية من جهات عدَّة، هي:

- العزة في مطلق العبادة:

"إنَّ جَعْلَ الله تعالى هدفاً نهائياً يتجه إليه الإنسان في كل مناشطه (وهو معنى العبادة) لئن كان يُشعِر بضآلة النفس أمام هذا الهدف الأسمى، فإنَّه يُشعِر أيضاً بعظمة النفس في التجاوُز لكل الأهداف الجزئية في طريق الرحلة إلى الله. فعظمة الهدف تُشعِر بعظمة النفس إزاء الموجودات المحيطة التي قد تعرقل المسيرة إلى ذلك الهدف، أو تغوي بأنْ تكون هي نفسها أهدافاً دون الهدف الأعلى."[٣٣]

وتأسيساً على ذلك، فإنَّ العبادة تُحدِث في النفس تقابُلاً عجيباً بين شعور بالضآلة إزاء الله، وشعور آخر يتولَّد منه، هوالشعور بالقوة والعلو إزاء الموجودات، الذي يُكسِب النفس ثباتها وفاعليتها في مهمة الوجود. والتوجُّه إلى الله بالعبادة يبث في النفس قوة تُستصغَر معها كل النوائب والصوارف. وقد جمع هذه المعاني قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ (آل عمران: ١٣٩). فالوهن هو الضعف واستشعار الضآلة، والحزن هو ضرب من الانهزام إزاء المحيط. وهذا يتنافى مع كرامة الإنسان ورِفعته؛ فقد قرنت الآية العزة والكرامة والاستعلاء بالعبادة، فتكون العبادة هي سبب الرِّفعة ومظهر التكريم.[٣٤]

- العزة بالتعبُّد في مباشرة الكون:

خلق الله الكون مُسخَّراً للإنسان، يستجيب لمصالحه ومنافعه؛ ليكون مسرحاً يمارس عليه وظيفة الخلافة المبنية في جوهرها على الترقي المادي والروحي في طريق الصعود إلى المستخلف الذي هو الله تعالى؛ لذا تقتضي الأوامر الإلهية أنْ يتعامل الإنسان مع الكون

---

[٣٢] النجار، **عقيدة تكريم الإنسان وأثرها التربوي**، مرجع سابق، ص١٢٤.

[٣٣] النجار، **قيمة الإنسان**، مرجع سابق، ص٣٤.

[٣٤] النجار، **عقيدة تكريم الإنسان وأثرها التربوي**، مرجع سابق، ص١٢٤-١٢٥.

بحسب ما يؤدي إلى تحقيق سيطرته واستعلائه ونموه، فتكون العبادة بتطبيق تلك الأوامر بما يُفضي إلى العزة والكرامة. وقد وردت آيات عديدة تأمر الإنسان بأنْ يقتحم الكون، مُبيِّنةً له سُبُل هذا الاقتحام وآدابه؛ سواء على المستوى المعرفي، أو على المستوى الاستثماري العملي.

ففي المستوى المعرفي حثَّ القرآن الإنسان على أنْ يتخذ من آفاق الكون منطلقاً لمعرفة حقيقة الكون، من حيث دلالته على الوجود الإلهي (حقيقة الغيب)، وحقيقة القانون الكوني نفسه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ (العنكبوت: ٢٠). ولـمَّا كان إدراك الحقيقة بالتأمُّل في آفاق الكون أمراً قرآنياً، فإنَّه أصبح ضرْباً من العبادة الـمُفضِية إلى تكريم الإنسان، فأصبح السيد المـُشرِف الـمُسيطِر على الطبيعة لعلمه بأسرارها.

وأمَّا في المستوى العملي فقد وردت آيات كثيرة تأمر باستغلال الكون واستثمار مرافقه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿۞ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ (الأنعام: ١٤١-١٤٢). وفيه إظهار لاستعلاء الإنسان من المستوى النفسي (السيطرة المعرفية) إلى المستوى الواقعي حينما يستثمر مرافق الكون بما يوفّر من يسر الحياة ونمو العمران.[٣٥]

- العزة بالتعبُّد في العلاقة الاجتماعية:

أُقيمت التشريعات الاجتماعية على ما يُحقِّق كرامة الإنسان ورِفعته، ويضمن تحرره من القهر والاستبداد؛ ليكون له من ذلك قوة عند مباشرة دوره في إنجاز الخلافة ترقياً في الذات الفردية والذات الاجتماعية. ولهذا ضُبِطت تشريعات التعامل الاجتماعي بمجموعة

---

[٣٥] المرجع السابق، ص١٢٧-١٢٨.

من العقوبات والتعازير والحدود الموضوعة لردع الاعتداء على الذات البشرية، بما يؤدي إلى إتلافها أو إعاقتها عن تأدية دورها.[٣٦]

- العزة في التعامل الذاتي للإنسان:

فرض التشريع الإسلامي ضروباً من العبادة، تمنع سقوط الإنسان الفرد في ممارسات ذاتية تُخِلُّ بكرامة الذات الإنسانية. وأول ما يحفظ للفرد كرامته واستعلاءه ألَّا يجعل همَّه في إشباع شهواته، قال ﷺ: "مَن كانت الدنيا أكبر همِّه فليس من الله في شيء"؛ وذلك أنَّ حصْر الهمِّ فيما يُشبع شهوة الكيان المادي من دون تجاوُزه إلى ما يحفظ الكيان الروحي ويُنمِّيه بالتقدُّم في الفضيلة، إنَّما هو تنزيل لذات الإنسان في منزلة أقل من المنزلة التي أراد الله لها؛ لأنَّ الاقتراب من الله بإنجاز خلافته يستلزم أنْ يستخدم ما يحفظ الكيان المادي وسيلةً لتوجيه هذا الكيان للتعمير. أمَّا إذا أصبح هدفاً في حدِّ ذاته فقد حَطَّ من قيمة نفسه، ورمى بها إلى التهلكة، وهو ما جاء في قوله ﷺ: "مَن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر."[٣٧]

- طمأنينة الخلود:

جاءت العقيدة الإسلامية لتُعلي من شأن الإنسان، مُؤكِّدةً أنَّ وجوده الحقيقي لا يقتصر على الوجود الفاني، وإنَّما جعلته وجوداً باقياً، وبشَّرته بالخلود في حياة أُخرى تتلو هذه الحياة الدنيا. ومن هنا، فإنَّ الحياة الدنيا في العقيدة الإسلامية ليست سوى مرحلة من الوجود الإنساني، وهي المرحلة القصيرة المنقوصة. أمَّا الوجود الحقيقي فهو في حياة أُخرى بعدها ممتدة لا يطالها الفناء، ولكنَّ العلاقة بين الحياتين قائمة، وهي علاقة الزرع الذي يكون في الحياة الدنيا بالحصاد الذي يكون في الحياة الأُخرى، ومن ثَمَّة فإنَّ الموت الذي هو مصدر خوف وهلع ورعب عند مَن يُنكِر الحياة الأُخرى يُضحي في العقيدة الإسلامية سبباً للكمال.[٣٨]

---

[٣٦] النجار، **قيمة الإنسان**، مرجع سابق، ص٤٢.

[٣٧] المرجع السابق، ص٤٤-٤٥.

[٣٨] النجار، **عقيدة تكريم الإنسان وأثرها التربوي**، مرجع سابق، ص١٣١.

فالموت إذن ضروري لكمال الإنسانية؛ لأنَّه سبب للانتقال من حالٍ أوضع إلى حال أرفع، فجعل الموتَ إنعاماً كما جعل الحياة إنعاماً؛ وذلك أنَّ الحياة الآخرة نعمة لا يمكن الوصول إليها إلَّا بالموت. فالموت نعمة؛ لأنَّ السبب الذي به يُتوصَّل إلى النعمة نعمة.[٣٩]

إنَّ امتداد الحياة إلى ما بعد الموت شرف خُصَّ به الإنسان دون سائر الموجودات الكونية، وهو شرف يُمثِّل ما أراد الله له من تكريم. فالإيمان بالخلود يفتح أبواب الأمل، ويسدُّ أبواب اليأس والقنوط، فيندفع الإنسان في الإنشاء الحضاري مادةً وروحاً، بما يُحقِّق من سيطرة على موارد الكون، وسيطرة على نوازع الهوى، إنجازاً في ذلك للخلافة التي ينال بأدائها أرقى الدرجات في حياة الخلود. فهذا تكريم إلهي للإنسان أشار إليه قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ (المؤمنون: ١١٥). فالخَلق مراد به الحياة الدنيا، وهي حياة ينطوي فيها الإنسان على قيمة كبرى. ومصدر هذه القيمة ما رُتِّب على هذه الحياة من حياة أُخرى يكون فيها بالرجوع إلى الله للحساب.[٤٠]

ثالثاً: التضمينات التربوية لعقيدة التكريم ومنهج الإعداد النفسي في القرآن عند النجار:

وهنا يحق لنا أنْ نسأل: ما الأثر التربوي لعقيدة التكريم هذه حينما تصير جزءاً من الإيمان؟

بعدما فرغ النجار من بيان مظاهر عقيدة التكريم اتَّجه إلى تأكيد ما تنطوي عليه هذه العقيدة من أبعاد تربوية مهمة، قائلاً: "وعقيدة التكريم هذه خطيرة الشأن في أثرها التربوي حينما يتبنَّاها الإنسان بالإيمان بعد استيعابها بالتمثُّل والوعي، فإنَّ لها فعلاً بالغ الأهمية في موقفِ مَن يتبنَّاها؛ سواء موقفه الداخلي إزاء الله تعالى وإزاء نفسه، أو موقفه الخارجي إزاء المجتمع الإنساني وإزاء البيئة الكونية."[٤١]

[٣٩] الأصبهاني، الراغب. **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين** "الإنسان: وجوداً، وقيمةً، وغايةً"، تقديم وتحقيق: عبد المجيد النجار، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٨م، ص٢٠٠-٢٠١.

[٤٠] النجار، **قيمة الإنسان**، مرجع سابق، ص٤٨-٤٩.

[٤١] المرجع السابق، ص٥١.

ولهذا سنعمل على إبراز هذه الآثار التربوية وإيرادها على النحو الآتي:

١. أثر عقيدة التكريم داخلياً:

يتجلّى أثر عقيدة التكريم على المستوى الداخلي في موقفين:

أ. موقف الإنسان من الله تعالى:

– إنَّ مَن يؤمن بأنَّه الكائن المُكرَّم، ويتمثَّل ذلك التكريم في نفسه، ويعرف أنَّ ذلك كان على وجه القصد والحكمة، ثم يقارن نفسه فيما خُصَّ به من وجوه العزة بأضداده من المعاني ممَّا هو عليه كثير من البهائم والموجودات من حوله؛ فإنَّه لا يملك إلَّا أنْ يَحمد المُنعِم بتكريمه، ويتوجَّه إليه بالشكر لما أنعم عليه، ويتخذ الأسباب للاقتراب منه وتحصيل مرضاته.

– من هذا الشعور تنشأ إرادة الوفاء لما كان من تفضُّلٍ عليه بالخصوصية المُميَّزة مُتمثِّلةً في شرف مبدئه المكتمل، فتجد هذه الإرادة طريقها إلى الشكر القولي والعملي للمُتفضِّل بذلك الوجود المكتمل، مُتجلِّياً في العمل على تحقيق المقتضيات المطلوبة التي اقتضاها وجوده المكتمل فيما أُعِدَّ له به من وظائف، جماعها وظيفة الخلافة في الأرض والتعمير فيها.[٤٢]

– هذه العقيدة هي سبب دائم في صلة الإنسان بالله، ما دامت النعم الإلهية غير محدودة، فهي مُتحقِّقة في كل ما يحياه ويتقلَّب فيه من أوضاع؛ لأنَّه يستشعرها دائماً؛ إذ هي حالته الوجودية المستمرة. فهذه الأحوال الدائمة التي خُلِق عليها الإنسان من تكريم في تقويمه، ثم في تكليفه بالخلافة، وتحريره من كل عبودية، ثم في مَدِّ حياته إلى غير فناء؛ قد يكون الإنسان غافلاً عنها بالرغم من دوامها فيه. بيد أنَّ تأكيد التعاليم الإسلامية إيَّاها لتصبح عقيدة راسخة يرفعها إلى مستوى الحضور والوعي الدائمين، فتكون المُذكِّر الدائم بالله المُنعِم، المُحفِّز إلى شكره وحمده، ولعلَّ هذا ما يتضمَّنه قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ (الذاريات: ٢١).[٤٣]

---

[٤٢] النجار، عبد المجيد عمر. **مبدأ الإنسان** "الإنسان في العقيدة الإسلامية ١"، المملكة المغربية: دار الزيتونة للنشر، ١٩٩٦م، ص١٢٤-١٢٥.

[٤٣] النجار، **عقيدة تكريم الإنسان وأثرها التربوي**، مرجع سابق، ص١٣٣.

- حين يستقر في ضمير الإنسان أنَّ أصل وجوده مُغيًّى بغاية هي عبادة الله، ويقع ذلك في نفسه موقع الاعتقاد، فإنَّه يبذل من الجهد في تحقيق الغاية ما يبذله من أجل تحقيق الوجود نفسه، وحينئذٍ يكون مرتقياً بوجوده في القيمة بما يُحقِّق من عبادة؛ فالعبادة هي التي تمنحه قيمته بحيث يبلغ من الكمال بقدر ما يُحقِّق من هذه الغاية، ويقترب من العدم بقدر ما يُقصِّر عنها. وإذا كانت عبادة الله ليست إلَّا اقتراباً من الكامل المطلق الكمال فإنَّها ليست في الحقيقة إلَّا ارتقاءً بالوجود الإنساني إلى درجات الكمال المُصوَّرة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ (الانشقاق: ٦).[٤٤]

ب. موقف الإنسان من نفسه:

- إنَّ الإنسان لـمَّا يقع في نفسه موقع الاعتقاد أنَّه كائن خُصَّ من بين جميع الموجودات الكونية بالوجود الطفري المكتمل، وأنَّ مبدأه الـمُكتمِل الـمُتمثِّل في وجود آدم عليه السلام إنَّما هو تشريف له وتكريم؛ فإنَّ ذلك سيُلقي في نفسه شعوراً بقيمته الذاتية، وتميُّزه على كل الكائنات الأُخرى.

- لعقيدة التكريم أثر مهم في إقرار التوازن النفسي في ذات الإنسان، وإشاعة الشعور بالقوة في نفسه؛ وذلك أنَّ اعتقاد الرِّفعة والعزة يُفضي إلى قوة الإحساس بالوجود، ويُنمِّي الشعور بالذات، فيُثمِر الإيمان بالنفس الذي يُعَدُّ مفتاح التوازن في الشخصية، ومَعْقد الفاعلية في المحيط.[٤٥]

- حين يؤمن الإنسان بأنَّه خليفة الله في الأرض فإنَّ دواعي الضعف والانهزام والوهن تُنزَع منه، ويتولَّد فيه العزم على أنْ يكون على قدر المقام الذي وُضِع فيه؛ إذ كيف يعتقد أنَّه الكائن العزيز ثم لا يتولَّد فيه العزم على أنْ يكون العزيز فعلاً؟ إنَّ أيَّ وضعية نفسية يكون عليها الإنسان سببها أصلاً ما استقر في النفس من تصوُّر لهذه الوضعية. والإنسان يكون على ما استشعر عليه نفسه؛ فإذا استشعر القوة كان قوياً، وإذا استشعر الضعف كان ضعيفاً، وكذا الأمر في العزة والهوان.[٤٦]

---

[٤٤] النجار، **مبدأ الإنسان**، مرجع سابق، ص٧٠-٧١.

[٤٥] النجار، **قيمة الإنسان**، مرجع سابق، ص٥٢.

[٤٦] النجار، **عقيدة تكريم الإنسان وأثرها التربوي**، مرجع سابق، ص١٣٤.

– إنَّ الفاعلية في التعامل مع الكون بالاستثمار والعمارة لهي رهينة الإيمان بالعزة وما يؤدي إليه من استشعار القوة والتوازن. فاعتقاد العزة والرِّفعة يدفع إلى وجود مصداق له في الخارج مُتمثِّل في تحقيق العزة حقاً؛ باكتشاف حقيقة الكون، وامتلاك سرّه، ثم باستثمار مُقدَّراته بما يُنمِّي الوجود الإنساني. ولهذا يُؤكِّد النجار أنَّ من أقوى دوافع الإنشاء والتعمير هو شعور الإنسان بقيمته وعلو شأنه. ولعلَّ الأُمة الإسلامية اليوم تعيش أهم عوامل إعاقتها عن التحضُّر الـمُتمثِّل في شعورها بالمغلوبية والدونية إزاء الآخرين من أهل الحضارة الغربية.[٤٧]

– إنَّ شعور الإنسان أنَّه كائن ذو رسالة خلافية، واعتقاده بالتحرُّر من كل هيمنة سوى هيمنة الله، يجعله يُقبِل على الله بإنجاز الخلافة على الأرض، فيُباشِر هذه الأرض فعلاً، وهو يبغي بها التوجُّه إلى الله، فيكون فعله فيها (إنشاءً، وتعميراً، واستثماراً) فعلاً عميق الأثر؛ لأنَّه يهدف إلى غاية بعيدة هي الله؛ إذ الفاعلية تستمد زخمها من الهدف المقصود: بُعْداً، وقُرْباً.[٤٨]

– إذا وقع في نفس الإنسان تصوُّرٌ يقوم على أنَّه في مبدئه الإنساني ليس إلَّا حلقة رقمية في سلسلة من حلقات الموجودات مُنقلِبة بالتحوُّل الآلي الأعمى عمَّا قبلها، وأنَّه يتساوى مع كل العناصر الكونية من الحشرات والطيور والخنافس والبغال؛ فإنَّ ذلك كله سيُؤثِّر فيه نفسياً، فينشأ لديه شعور بضآلة الشأن وخساسة الأصل؛ إذ هو في وجوده مجرَّد رقم من أرقام عناصر الكون جميعها، وليس مبدؤه إلَّا بالتحوُّل الآلي الذي يخلو من أيِّ معنى من معاني العناية والتشريف.

– إذا وقع في نفس الإنسان أنَّ مبدأ وجوده كان عن طريق منهج من الصراع مع العناصر التي تُنافِسه على الأرض، فإنَّ ذلك سيُولِّد في نفسه روحاً من العدوانية، تُولِّد فيه النزوع الدائم إلى الصراع والعنف تجاه الآخرين؛ سواء أكانوا من بني جلدته، أم من عناصر الطبيعة، وذلك في سبيل الحفاظ على الوجود الذي اكتسبه عن طريق الصراع والعنف.

[٤٧] النجار، **قيمة الإنسان**، مرجع سابق، ص٥٣-٥٤.

[٤٨] النجار، **عقيدة تكريم الإنسان وأثرها التربوي**، مرجع سابق، ص١٣٤.

- إنَّ الاعتقاد بحدوث مبدأ الوجود بوساطة الآلية والصراع سيُولِّد في نفس الإنسان معنى من النزوع إلى امتهان الذات الإنسانية؛ لأنَّها تُضارِع عناصر الكون كلها، وسيُولِّد أيضاً في نفسه معنى من النزوع إلى الاستحواذ؛ إذ به تكون القوة التي تضمن البقاء. وأيُّ إنسان يكون على هذا النزوع فإنَّه -لا محالةَ- يصير إلى وضع من تخريب الحياة، والإفساد في الأرض إفساداً شاملاً.[٤٩]

٢. أثر عقيدة التكريم خارجياً:

يمكن إجمال أثر عقيدة التكريم على المستوى الداخلي في موقفين:

أ. موقف الإنسان تجاه المجتمع الإنساني:

يُؤَكِّد النجار أنَّ المعنى التربوي الذي يحصل في النفس بإدراك الحكمة من الوجود الإنساني يُؤَثِّر -لا محالةَ- في حياة المجتمع؛ فهو المظهر الأكبر لهذا الوجود وتلك الحكمة، ومن أُشرِب إيماناً بأنَّ وجود الإنسان هو تفضُّل إلهي يُلحِق النعيم والخير به، فإنَّه سيكون مدفوعاً بفعل ذلك الإيمان إلى أنْ يحترم حكمة الله باحترام كل فرد من أفراد الإنسان المتجسِّدة فيه، وسيكون أيضاً مدفوعاً إلى التعاون مع بني جنسه ليبلغ من الشكر لله على فضله بإضفاء نعمة الوجود عليه درجات ما هو بالغها في مسعاه الفردي مهما استجمع من القوة والإخلاص.[٥٠]

ومن الناحية الاجتماعية، فإنَّ الإيمان بالخَلق الابتدائي المُكتمِل للإنسان يُثمِر القناعة بأنَّ هذا الإنسان الذي خُلِق مُكتمِلاً ينطوي على فطرة ثابتة تستمد ثباتها من وجوده المُكتمِل. وعلى أساس هذا الثبات تُبنى الحياة الاجتماعية على موازين وقيم ثابتة في الأخلاق وسُبُل التعامل ونظم العيش، وهي موازين وقيم تتأسَّس على احترام الإنسان والإعلاء من شأنه. ويرى النجار أنَّ ذلك هو مسلك الأديان عموماً في توجيهاتها الاجتماعية والأخلاقية، وأنَّ الأمر يبلغ ذروته وسنامه مع الدين الإسلامي استناداً إلى

---

٤٩ النجار، **مبدأ الإنسان**، مرجع سابق، ص١٢٧-١٣٠.

٥٠ المرجع السابق، ص٧١.

التصوُّر الذي رسمه لمبدأ الإنسان المُكتمِل، وهو التصوُّر الذي يُستصحَب بالنسبة إلى كل أبناءِ آدم إلى يوم الدين.[٥١]

وفي المقابل، فإنَّ الإيمان بالوجود التطوري للإنسان يُثمِر القناعة بأنَّ هذا الإنسان الذي وُجِد بالتطور لا ينطوي على فطرة ثابتة، وإنَّما يخضع للتحوُّل الدائم في فطرته. وعلى هذا الأساس فإنَّ حياته الاجتماعية تُبنى على موازين ونظم وقيم قابلة للتغيُّر من حين إلى حين، ومن حال إلى حال، علماً بأنَّ هذا التغيُّر لا يستند إلى معيار أخلاقي واجتماعي ثابت، وإنَّما يخضع في تغيُّره لمقتضيات من النزوع إلى الاستحواذ، والصراع، والعدوانية. وبمقتضى ذلك فإنَّها تتحوَّل إلى أنظمة متغيِّرة متطوِّرة بحسب الظروف، وتغيُّر الاعتبارات الزمنية والمصلحة الضيِّقة.

ولعلَّ من أبرز آثار هذه الأنظمة المتغيِّرة النزوع إلى العنف والاستحواذ، كما هو حال حركة الاستعمار التي مارستها المجتمعات الغربية على العالَم المُستضعَف، وهو ما يبرز بجلاء استهتاراً بالذات الإنسانية، وتأصُّلاً لمسلك الصراع من أجل البقاء في المجتمعات الغربية. فضلاً عمَّا تسلكه المجتمعات الغربية اليوم من مسلك الازدواجية في تعاملها مع الشعوب الأُخرى؛ فإنَّ هذا التعامل يتحدَّد حسب مصلحة الاستحواذ، وتحصيل أسباب القوة الممكنة من الغلبة في حلبة الصراع.[٥٢]

ب. موقف الإنسان تجاه البيئة الكونية:

- إنَّ شعور الإنسان بالتميُّز في مبدأ وجوده سيُولِّد في نفسه روحاً من الاستعلاء النفسي على جميع كائنات الطبيعة؛ إذ هو خُصَّ من دونها باحتفال مُشرِّف في خَلقه. وهذه الروح الاستعلائية قد تصبح عاصمة له من الوقوع في حبائل سلطان موهوم للطبيعة يُذَلُّ به لسطوتها، ويُقدِّم لها القرابين اتِّقاءً لشرها، وطلباً لرضاها، فيهدر بذلك الكثير من قواه كما هو حال الكثيرين من عبدة الطبيعة قديماً وحديثاً.

- إنَّ هذه الروح الاستعلائية ستحفزه أيضاً إلى استثمار مُقدَّرات الطبيعة في سبيل أنْ يندفع بها لأداء وظيفته في الحياة التي أُعِدَّ من أجلها مُتميِّزاً عنها بمبدئه المُكتمِل،

---

[٥١] المرجع السابق، ص١٢٨.

[٥٢] المرجع السابق، ص١٢٩.

فيتجنَّب أنْ يسلك إزاءها مسلك العزلة عن الكون؛ تهيُّباً له واستشعارًا لسطوته، أو زُهداً فيه لليأس من ثمرته ونفْعه أنْ يكون له فائدة في حياته.[٥٣]

"حينما يقع في نفس الإنسان الإيمان في مبدئه بالصورة التي قدَّرتها العقيدة الإسلامية على النحو الذي وصفنا فإنَّ ذلك يكون له أثر تربوي يُوجِّه النفس والفكر، كما يُوجِّه السلوك والعمل."[٥٤]

ولكن، إذا كانت عقيدة التكريم تنطوي على كل هذه التضمينات التربوية، فهل تكفي وحدها لدفع الإنسان إلى إحداث الفعل الحضاري؟ ألَا تجعله يركب مركب الغرور بنفسه ويطغى لما يتميَّز به عن كل الموجودات الكونية؟ ألَا يدفعه تفوقه العقلي إلى تمجيد عقله وتأليهه وتناسي حقيقة وجوده؟ هذا ما يجعلنا نتساءل من جديد: ما منهج التربية القرآنية الذي يمكنه أنْ يحافظ على توازن الإنسان ويرشده إلى غاياته؟

٣. منهج القرآن في تربية الإنسان للدفع الحضاري عند النجار:

صحيح أنَّ لعقيدة التكريم أثراً تربوياً عميقاً في نفس مَن يؤمن بها، بيد أنَّ ذلك وحده لا يكفي؛ لذا حَرَصَ القرآن الكريم على إعداد الإنسان نفسياً وَفق نسق تربوي متدرِّج يأخذ بيده نحو التفاعل مع الكون تفاعلاً إيجابياً، ويُحقِّق أغراض الخلافة التي من أجلها وُجِد. وعليه، فإنَّ معالجة المشكلة النفسية بين الإنسان والكون -بحسب النجار- تتركَّز في ثلاث حقائق:[٥٥]

أ. وحدة الإنسان والكون:

يُعَدُّ الأثر النفسي الذي يُخلفه الاعتقاد بوحدة الإنسان والكون من انتفاءٍ لمشاعر الخوف والعداء -التي تتأتَّى من اعتقاد الغربة والتناقض- إزاء الكون هو الشرط الأول لإيجاد مُناخ نفسي تستعد فيه نفس الإنسان إلى الإقبال على الكون، والانفتاح عليه، والتعامل معه بتلقائية ويسر؛ إذ تختفي حالة التوتر والجزع التي تَتسبَّب في تعطيل الطاقة

---

[٥٣] المرجع السابق، ص١٢٥-١٢٦.

[٥٤] المرجع السابق، ص١٣٣.

[٥٥] النجار، **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**، مرجع سابق، ص٢٤-٢٥.

الإنسانية. ومن مظاهر الوحدة بين الإنسان والكون قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾ (نوح: ١٨-٢٠)؛ إذ يُعقِّب الله تعالى على الوحدة بين الإنسان والأرض المُعبَّر عنها بالإنبات ببيان تذليل الأرض للإنسان ليُقبِل عليها، وكأنَّ هذه الوحدة تقوم مقام سبب ذلك الإقبال والانفتاح، وهو أيضاً ما يبدو في قوله ﷺ: "أكرموا بني عمَّاتكم النَّخل"؛ إذ علَّل الإكرام الذي هو إقبال وانفتاح بوشيجة القربى التي هي ثمرة الوحدة.[٥٦]

ودليل ذلك أنَّه لـمَّا خَفي على الإنسان -في بعض الحقب من تاريخه- حقيقة وحدته مع عناصر الكون ضلَّت به السُّبُل في التعامل معه، وهذا ما يبدو في سيرة المُتألِّهين من البشر الذين ظنوا أنَّه لا تربطهم بالكون رابطة كما كان من أمر فرعون، ويبدو هذا أيضاً في المذاهب التي بُنِيت على التناقض والفرقة بين الإنسان والطبيعة المادية التي تزعم أنَّ المادة الكونية تنتمي إلى الخِسَّة، وأنَّها تستحق الحقارة، فسقطت في حياة إنسانية منزوية عن الطبيعة، غارقة في الاستبطان الروحي؛ لأنَّ الإنسانية الحقَّة عندهم تتحقَّق في نبذ الكون المادي، وهو ما مارسه الإشراقيون وغُلاة المتصوفة.[٥٧]

والحقيقة أنَّنا لا نستطيع إنكار قيمة المُناخ النفسي الناشئ من الإيمان بالوحدة مع الكون؛ لأنَّه شرط ضروري للإقبال على الكون في توازن وهدوء، لكنَّه شرط غير كافٍ لإحداث الفعل في الكون على الصعيد الواقعي؛ إذ لا بُدَّ من الشعور بالرِّفعة والتفوق على الطبيعة.[٥٨]

ب. رِفعة الإنسان:

إنَّ الشعور بالرِّفعة والتفوق على الطبيعة يتمثَّل في عقيدة التكريم التي سبق بيانها، والتي تُنشِئ في النفس النزوع إلى العمل؛ استثماراً للكون، وتعميراً فيه لإشباع هذا الشعور على الدوام. فالشعور بالرِّفعة يقوم مقام المثير لقوى الإنسان المختلفة، المُنمِّي لها، والدافع بها إلى منطقة الفاعلية والتأثير.[٥٩]

---

[٥٦] النجار، **قيمة الإنسان**، مرجع سابق، ص٨٤.

[٥٧] النجار، "الإنسان والكون في العقيدة الإسلامية"، **مجلة المسلم المعاصر**، عدد٧٧، ١٩٩٥م، ص١٧.

[٥٨] النجار، **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**، مرجع سابق، ص٢٦.

[٥٩] النجار، **قيمة الإنسان**، مرجع سابق، ص٨٥.

ولا شكَّ في أنَّ "تصوُّر السيادة البشرية على الطبيعة يورث الإنسان تقديراً خاصاً لمركزه في الوجود ولموقفه تجاه الطبيعة، فمهما هالته مظاهرُها وقواها لم يكن له أنْ يَذلَّ لها أو يعبدَها، بل حقُّه أنْ يتخذ منها موقفاً فاعلاً يقتحم مجالها ويغالبها بعلمه وجهده من أجل إذلالها هي لإرادته، وتعبيدها لغرضه."[٦٠]

ولكنَّ استشعار الرِّفعة والاستعلاء على الكون قد يُودي بالإنسان إلى أنْ يركب مركب الغرور بنفسه، فيتناسى أصله الكوني، ويتبوَّأ منزلة التألُّه، ممَّا يكون له سبباً في انتهاج الفساد في الأرض كما كان من شأن فرعون؛ لذا جاءت التعاليم الإسلامية تُرشِّد في الإنسان استشعار الرِّفعة والاستعلاء على الكون حتى لا يزيغ عن طريق الفاعلية.[٦١]

وممَّا يُؤكِّد هذا النزوع ويزيده تسديداً وترشيداً في دفعه إلى الفعل ذلك الموضع الذي وُضِع فيه الإنسان وسطاً بين الكون والله؛ فهو يقبس من الله التعاليم وخُطَط الفعل ليتجه بها إلى الكون، يُنفِّذها فيه على سبيل الاستخلاف، وهو في ذلك كله إنَّما يمارس العبادة المفروضة؛ سواء في تلقيه من الله تلقي الخاضع، أو في فعل الغالب المستعلي. فهذه الوسطية تمنع ما قد ينشأ في نفس الإنسان من شعور بالتعاظم المطلق الذي يرهق قدراته المحدودة فيُعجِزها عن الفعل، وذلك بما يكسر فيه الخضوع لله من هذا الشعور، كما أنَّها تُنشِئ فيه شعوراً بالاستعلاء والغالبية إزاء الكون، وهو الدافع إلى الاستغلال والتعامل الفاعل.[٦٢]

ويرى النجار أنَّه حين يتحقَّق في الإنسان شعور القربى من الكون بما تيقَّن من حقيقة الوحدة، وحين ينشأ فيه النزوع إلى الفعل بما استشعر من الرِّفعة والاستعلاء؛ فإنَّه عند توجُّهه إلى مباشرة الكون بالفعل لاستثماره قد يَهولُه ما يبدو في هذا الكون من ظواهر السطوة والقسوة، وقد يقع في نفسه أنَّ الكون مستعصٍ على النفع، فيُفضي به ذلك إلى الوقوع في مهاوي الانهزام واليأس.[٦٣]

---

[٦٠] الترابي، حسن. **الإيمان وأثره في حياة الإنسان**، الكويت: دار القلم، ط ٢، ١٩٧٩م، ص٥٢.

[٦١] النجار، **قيمة الإنسان**، مرجع سابق، ص٨٩.

[٦٢] النجار، **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**، مرجع سابق، ص٢٦-٢٧.

[٦٣] النجار، **قيمة الإنسان**، مرجع سابق، ص٩٠.

ت. تسخير الكون للإنسان:

يُمثِّل هذا المنحى الحلقة الثالثة الأخيرة في المنظومة العقدية الإسلامية لمنزلة الإنسان في الكون، التي جاءت لمعالجة هذه المحاذير، مُتمثِّلةً في تأكيد أنَّ الكون كله مُسخَّر للإنسان، مُذلَّل له، يستجيب لمطالبه إذا أقبل عليه؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣﴾ (الزخرف: ١٠-١٣).

ويُؤكِّد القرآن الكريم أنَّ الكون كله مُسخَّر للإنسان بوصفه عاملاً لترشيد الإرادة الإنسانية ودفعها إلى الفعل، ويحرص أيضاً على أنْ يقيم في نفس الإنسان معادلة دقيقة بين الشعور باستعظام الكون واستغلاقه، والشعور بأنَّه مُسخَّر له التسخير الكلي، ممَّا يؤدي إلى استسهاله وانتظار عطائه المجاني.[٦٤]

وتتمثَّل هذه المعادلة الدقيقة في ما أشعر به القرآن الكريم من أنَّ الكون مُسخَّر للإنسان الذي هو قادر بما أُوتيه من عقل وحرية اختيار على أنْ يكون السيد الفاعل في الكون، في إطار تحقيق غايته من الحياة. وتكتمل المعادلة بما أشعر به القرآن -في الوقت نفسه- من أنَّ هذا الكون المُسخَّر ليس هو بالمُمَهَّد التمهيد الكلي الذي يجلب للإنسان المنافع في حال قعوده وانطوائه؛ إذ يُؤكِّد النجار أنَّ التسخير إنَّما هو تسخير في حال الإقبال والفعل، ومن ثَمَّ فهو مشروط بالجهاد الدائم والمكابدة المستمرة. وهذا المعنى نجد في قوله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٧﴾ (الشورى: ٢٧).[٦٥]

---

[٦٤] المرجع السابق، ص٩١.

[٦٥] النجار، **الإنسان والكون في العقيدة الإسلامية**، مرجع سابق، ص٣٢.

وإذا أردنا أنْ نعتمد مصطلحات المؤرِّخ الإنجليزي أرنولد توينبي ومقاييسه الحضارية،[٦٦] فإنَّنا سنرى في العالَم تحدياً مناسباً للإنسان، ليس معجزاً، ولا هو دون الحدِّ المطلوب لإثارة التوتر البشري للردِّ.

وكأنَّ إرادة الله سبحانه قد شاءت أنْ تقف به عند هذا القدْر لكي يَبلغ الإنسان الحدَّ الأقصى الذي يُحقِّق خلافته في الأرض، فلم يشأ الله أنْ يُمهِّد العالَم تمهيداً كاملاً، ويكشف للإنسان عن قوانينه وأسراره كلها؛ لأنَّ هذا نقيض عملية الاستخلاف والتحضُّر والإبداع التي تتطلَّب مقاومةً وتحدياً واستجابةً ودأباً. وفي المقابل، لم يشأ الله سبحانه أنْ يجعل العالَم على درجة من التعقيد والصعوبة الطبيعية والانغلاق والغموض، بحيث يعجز الإنسان معها على الاستجابة والإبداع.[٦٧] ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ (الشورى: ٢٧)، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ (الزخرف: ١٠-١٣). يقول النجار في ذلك: "وهي تربية نفسية ذات أثر إيجابي فعَّال في التعامل مع البيئة الكونية، من شأنها أنْ تُنقِذ الإنسان من أوضاع مرذولة في علاقته بالكون، كثيراً ما وقعت فيها مجتمعات وأفراد نتيجةً لتصوُّرات فلسفية وعقدية لمنزلة الإنسان في الكون."[٦٨]

وأخيراً يُؤكِّد النجار أنَّ هذه المعادلة تُمثِّل منهج القرآن في تربية الإنسان على التعامل مع الكون بصورة تكفل تحقيق مهمته الوجودية؛ إذ قال: "إنّ الإنسان إذا ما كانت السلطنة على الكون تقع في نفسه موقع الاعتقاد، وإذا ما رسخ فيه أنَّه مع ما يجمعه مع هذا الكون من وشائج القربى فإنَّه الأعظم منه والمستعلي عليه، وإذا ما اعتقد أنَّ هذا

[٦٦] انظر: صبحي، أحمد محمود. **في فلسفة التاريخ**، الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٥م، ص٢٦٦ وما بعدها.

[٦٧] خليل، عماد الدين. **حول تشكيل العقل المسلم**، د.م: مطبعة الفيصل، ١٩٨٩م، ص٩٢.

[٦٨] النجار، **قيمة الإنسان**، مرجع سابق، ص٩٣.

الكون ليس إلَّا مُسخَّراً له، مُهيَّأً لوجوده، مستجيباً لفعاليته إذا فعل، وعطائه إذا استعطى، فإنَّه حين ذاك سيجد نفسه في خضم التفاعل مع الكون والاندماج معه بما يتجه به إلى أنْ يكون خليفة الله في الأرض، وذلك ما هدفت إليه التربية القرآنية، وأرشدت إلى سبيل تحقيقه."[٦٩]

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة نُؤكِّد أنَّ عقيدة التكريم تُمثِّل فلسفة تربوية قائمة بذاتها، لها منطلقاتها، ولها أهداف تروم بلوغها، ولها منهجها الخاص بها؛ فعقيدة التكريم تهدف إلى ترقية الإنسان عن طريق إعادة الاعتبار إلى الصورة الذاتية -بتعبير التنمية البشرية- التي ينبغي أنْ يحملها الإنسان المسلم عن نفسه، وعن مكانته في الوجود، فهو الكائن المُكرَّم الذي كُلِّف بالخلافة، وهي مهمة محكومة بالإطار العقدي الذي جاء مُحدِّداً حقيقة الوجود وغاية الحياة الإنسانية. ومن هنا، تُعَدُّ عقيدة التكريم آلية منهجية ضرورية تتدخَّل في تشكيل تصوُّر الإنسان عن نفسه وعن الكون من جهة، وعن علاقته بالكون من جهة أخرى؛ ليرتقي بنفسه في سبيل إنجاز وظيفة الاستخلاف.

وتبرز ملامح هذه العقيدة في ما تُخَلِّفه من آثار تربوية قيِّمة عندما تحل في النفس محل الاعتقاد -على النحو الذي سبق بيانه-؛ فإنَّها تُنشِئ في نفس المؤمن بها شعوراً بالقوة والعزة، وتُنزل في نفسه الطمأنينة، وتقضي على ما يعتريه من خوف وقلق تجاه الوجود-خلافاً للنظرية التطورية والفلسفة الوجودية-، وتُبشِّره بحياة الخلود، فتدفعه إلى العمل والتعمير في الأرض لينال الجزاء، استشعاراً لعزة العبادة، واستكمالاً لإنسانيته.

وتعكس عقيدة التكريم العلاقة الوطيدة بين التربية القرآنية الـمُتمثِّلة في الإعداد النفسي للفرد لينـدفع إلى الاستثمار في نفسه دخلياً، والتوجُّه إلى الاستثمار في البيئة الكونية والاجتماعية خارجياً. وفي المحصلة، فإنَّ الفعل الحضاري عند النجار محكوم بمدى تمثُّل العقل المسلم لخريطة الرؤية التربوية القرآنية للخروج من عقدة الشعور بالدونية،

---

[٦٩] النجار، **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**، مرجع سابق، ص٢٩.

وتجاوُز عقدة الصراع في صلته بالكون لاستثمار مُقدَّراته وتحقيق التحضُّر عبر نسق عقائدي تتكامل فيه الوحدة بين الإنسان والكون رِفعةً وتسخيراً.

أمَّا الإضافة المعرفية في طرح النجار فتتمثَّل في صياغته مصطلحاً جديداً استقى تحديداته المفهومية من المكانة التي يحظى بها الإنسان الـمُكرَّم في العقيدة. وعن طريق عقيدة التكريم هذه مرَّر النجار الإطار النظري لإصلاح عقل الإنسان المسلم المعاصر، والعمل على ترشيده وجدانياً، وتقوية إرادته، وشحذ همته بغرض تصحيح مسار علاقته بالله وبنفسه، والتصالح مع الطبيعة والمجتمع. وبهذا فإنَّه يتزوَّد بالشحنة التي تدفع به إلى الفعل الحضاري، فينطلق لأداء رسالته بإيمان راسخ، ووعي مُتيقِّن بمنهج الحق، والعمل على إظهاره، وحتى تبليغه.

ووجَّه النجار -عن طريق عقيدة التكريم- النظر إلى بعض مكامن القصور الذي يشلُّ الإرادة الفاعلة لدى الفرد ثم الجماعة المسلمة؛ لأنَّ إنجاز التحضُّر عمل جماعي يقتضي تضافر الجهود الجماعية لتحقيقه. وفي هذا السياق تبرز الرؤية الشمولية في المعالجة التي قدَّمها النجار، والتي تصل العمل الدنيوي بالعمل الأُخروي وصلاً يُوجِّه قيمة التوحيد التي تفصل فصلاً يقينياً في حقيقة الوجود والحكمة من الوجود الإنساني، وتُوازِن بين مطالب المادة والروح، خلافاً للمفهوم الغربي الذي يُرسِّخ مفهوم السيطرة والصراع وتحقيق الغلبة.

ولـمَّا كان الإنسان في العقيدة الإسلامية هو الكائن الـمُكرَّم خُلقاً وتقويماً وتكليفاً وتعبُّداً ومصيراً، فإنَّه يُمثِّل محور الخطاب في القرآن وأساس العمران. فإذا أردنا أنْ نبني مجتمعاً سليماً، وأنْ ننهض من مستنقع السقوط الحضاري فعلينا أنْ نستثمر في الإنسان، وذلك ببناء تصوُّر إسلامي مُستخلَص من التحديدات التي جاءت بها العقيدة الإسلامية في نَصِّ القرآن الكريم والحديث الشريف، والتي تُظهِر حقيقة الإنسان ووظيفته الوجودية.

وختاماً فإنَّنا نُؤكِّد أنَّ الفكرة التي قدَّمها النجار -على أهميتها- تبقى بحاجة إلى المزيد من الدرس والإثراء لتعميق الوعي بها بعقد سلسلة من الندوات عنها لإيجاد الآليات الكفيلة بتنزيلها على أرض الواقع.